بسم الله الرحمن الرحيم

(القدس بيد فتح عمر وفتح صلاح الدين)

لا أحصي كم تردد على سمعي ونقل على نفسي هذا الدعاء غير المأثور: (اللهم فتحاً كفتح صلاح الدين) في آخر خطبة يوم الجمعة، وعجبت لماذا يشترط الخطباء على الله أن يأتيه فتح القدس القادم على منهج صلاح الدين رحمه الله الأعلى منهج الخليفة الراشد المهدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه! وما جاز الاشتراط كانت غاية الجهاد والفتح على منهج عمر رضي الله عنه: «لتكون كلمة الله هي العليا» و: «حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله». أما الجهاد والفتح بعد القرون المفضلة فحري أن يشوبه - في غالب أحواله وأخسها - قصد التوسع والكسب الدنيوي من الأرض والملك إن لم يكن الحقد أو التعصب القومي أو الانتصار لذات الفاتح كما يقول الرواة عن فتح المعتصم عفا الله عنه (عمورية) وهو المثل الأعلى الآخر للجهاد بيد المسلمين اليوم.

وصلاح الدين رحمه الله - وإن أخذ شيئاً من المعلم على مثل أبي طاهر السلفي الصوفي! على نهج عصره: أشعري المعتقد شافعي المذهب إن لم يكن صوفي الطريقة - إنما كان عسكرياً أكثر من عالم أو داعية إلى الله على بصيرة، وقد نهض الناس في استعادة بيت المقدس من الصليبيين ولكنه لم تظهر له فكرة أو محاولة لإعادة المسلمين إلى الدين الحق في البلاد التي حكمها حكماً مطلقاً بعد موت آخر ولاة الفاطميين: العاضد الذي منحه الوزارة وعينه قائداً للجيش ولقبه (الملك الناصر)، وقد وفى له صلاح الدين فلم يصرف عنه الدعاء في خطبة الجمعة (رمز الولاية) إلى أحد بقايا العباسيين إلا في آخر مرضه موته بعد أن فقد الإحاطة بما أحدثه صلاح الدين رحمه الله، ولم يظهر صلاح الدين إنكاراً أو تغييراً لشيء من موبقات

الفاطميّة وأسفرها وثنية المقامات والمشاهد والمزارات (وأشهرها وثنية الحسينية في القاهرة)، وقد بناه الفاطميّون قبل ربع قرنٍ من دخول صلاح الدّين في ولايتهم ثم وراثة ملكهم. ولم يُنكر صلاح الدّين تجاوز الله عنّا وعنه إنكاراً أو تغييراً لشيء من منكرات الفاطميّين بعد استقلاله بالولاية إلا ما يفعله أيّ صوفي أو قبوري أو مبتدع ممن ينتمي إلى السنّة: تغيير منهج الدّراسة في الأزهر إلى مذهب الشافعيّ رحمه الله في أحكام العبادات والمعاملات (ولا يزال اليوم كما تركه) ولإسقاط جملة: (حيّ على خير العمل) من الفاظ الأذان. بل ذكر السّيوطي رحمه الله في تاريخ الخلفاء أنه صلاح الدّين هو الذي بنى تربة [قبة وثنة] الشافعي في مصر، وذكر عن أنه هو الذي بنى ضريح [وثنة] الرّاعي في فلسطين، وتقدّم له ممن يُحسن الظنّ به بأنه بناه مخفاً للتسلّل أثناء قتال الصليبيين ولكنه لهذا يجوز أن يقاتل النّصارى فيه دونهم بوسيلة وثنيّة؟ وذكر عنه أنه تجاوز الله عنّا وعنه أحدث بدعتي إضافة جملة الصّلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم إلى ألفاظ الأذان وإضافة الابتهال قبل أذان الفجر لليلتي الاثنين والجمعة، ولم يتّخ لي التّشبّث منه ذلك ولكنه إبقاء وثنة الحسينية وغيرها وبناءه وثنة الشافعي أشرّ منه.

إذن.. لماذا يختار الحزبيون والحركيون والفكريون الموصوفون بالإسلاميين مشاكلهم العلميا منهم من عُرف بالقتال والفتح دون الدّعوة إلى الإسلام على منهاج النّبوّة مثل المعتصم وصلاح الدين تجاوز الله عنهما ولا يختارون منهم من بدأ الدّعاة على منهاج النّبوّة مثل أبي بكر وعمر ثم ابن تيمية وابن عبد الوهاب رضي الله عنهم جميعاً؟ لأنهم لصد الهمم الله إنما يقتدون بالأقرب إلى مناهجهم المبتدعة التي تقدّم وقال الناس على دعوتهم إلى الله

على بصيرة كما يقول المثل العامي: (مطوع الخنشل منهم)
أي: يؤمّ قطاع الطرق أحدهم (ولو كان كتابيًّا أو وثنيًّا) فإنه
أمّا منهاج النبوة في معاملة المخالف
أساسه: الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة وإلى السنة والنهي
عن وثنية المقامات والمشاهد والمزارات وما دونه ذلك
من البدع (بالحكمة والموعظة الحسنة) وقد تدعو (أو لا تدعو)
الحاجة في المرحلة الأخيرة (لا الأولى ولا الثانية ولا الثالثة)
إلى القتال لدرء الفتنة عن الإسلام والمسلمين (حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين لله) لا للحقد ولا للحسد ولا
للغضب، ولا لإظهار الشجاعة وتحصيل الشهادة المزعومة،
ولا للحمية الجاهلية قومية عربية أو أعجمية أو تركية.
ولقد بلغ أمر التعصب القومي العربي والتهاون بالوهم
والخيال بكاتب أردني إلى ادعاء أن صلاح الدين عربي
(ولو جاء أهله من أذربيجان ولو كان أجداده من الأكراد)،
بل بلغ أمر التعصب القومي الموصوف بالإسلامي
ببعض الإسلاميين في الأردن إلى بناء صنم لصلاح
الدين (فوق صنم لقرنس) في الكرك نكاية في النصارى
ومرة أخرى: محاربة أهل الكتاب بالوثنية في أبرز
مظاهرها: الصنم، وقد وفق الله الملك حسين تجاوز الله عنه
إلى قطع هذه الطريق من طرق الشيطان فأمر بهدم تمثال
مُنِّي له أمام مجلس الوزراء لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر عليًّا رضي الله عنه أن لا يدع صورة إلا طمسها (وأنه
لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه بالأرض) فأوصى رحمه الله بهدم البناء
على قبره)؛ فسنة في الإسلام سنة لم أجرها وأجر من عمل
بها إلى يوم القيامة، ولولا أن الله وفق لذلك فلربما امتلأت
الأردن بالتماثيل بسبب حماس الحركية الأهوج. وقد نوه
ابن باز رحمه الله بصنيع الملك (ضمن فتاواه جـ٩ ص٤٤٨ ط٣).

ودعوى أنه صلاح التربية عربي إنما هي حلقة جديدة في سلسلة تباهي العرب اليوم بما ليس لهم وتكاثرهم بما لم يفعلوا وقولهم ما لم يفعلوا، مثل دعوى بعضهم أنهم أسسوا الأدب الإنكليزي لأنه شكسبير عربي اسمه الشيخ زبير، وأنهم أسسوا الحضارة الغربية بفكر أمثال ابن سينا في الفلسفة والطب والبيروني في الفلسفة والرياضيات والخوارزمي في الرياضيات والفلك، وأنهم أسسوا فيزياء الطيران بأسطورة عباس بن فرناس. وكل منه تحقق لإنجاز فكري أو فني أو ديني سواء بالترجمة عن فكر اليوناني أو الهندي أو بالإضافة إليه فهم من نسل أعجمي وأصله أعجمية، وقد انصرفوا عن العلم الشرعي إلى هذا الفكر بغض انتمائهم إلى الإسلام وليس بسببه، بل لضعف التزامهم بمنهاج النبوة في التربية الحقة والدعوة إليه.

وقد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالرسالة قوماً ليتفقهوا في الدين وليدعوا إليه على بصيرة، والانصراف إلى الفكر (الإسلامي أو اليوناني أو الهندي) يشغل عن هذه الغاية الربانية العظيمة ويقطع الطريق عليها ويصرف عنها، ولذلك لم يعرفه ولم يسع إلى معرفته خيار المسلمين وقدوتهم في القرون الخيرة يوم كانوا هم القادة وهم السادة في أصقاع العرب والعجم، بل كانه أكبر همهم العلم بشرع الله والعمل به وتبليغه فاستخلفهم الله في الأرض بعد أن فتحوها على نهج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لا على نهج المعتصم وصلاح الدين تجاوز الله عنهما، ولا على نهج الفتوحات العثمانية باسم الإسلام وأعمال الشرك والابتداع والتعصب القومي الجاهلي والظلم.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولعل الله أن يهدينا جميعاً لأقرب منه لهذا رشداً!